

بين رحلة الجهاد والإستشهاد

تبكي، فقال لها:
(ما بك أوك! والله ليضربنك الله بفقر لا يجبر،
وبلاء لا يستر).

فبليت بعلقة أنفقت مالها وجميع ملكها حتى
احتاجت إلى رفق الناس، وأما أخوها جعفر
فقد وقع في بئر فأخرج ميتاً وهكذا سرى
السم في جسد الإمام فأثر فيه تأثيراً شديداً و
لسانه يلهج بذكر الله تعالى إلى أن قضى نحبه
صابراً محتسباً.

فسلام الله عليك يا مولاي يا أبا جعفر يوم
ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا.

للحفاظ على حياة الإمام عليه السلام طالما هو (المأمون)
على قيد الحياة لان بقاءه من بقاءه كما أخبره
الإمام الرضا عليه السلام.

وكانت مدة إمامة الجواد عليه السلام في عصر
المأمون ستة عشر عاماً، وهي هبة من الله تعالى
لحملة رسالته، لمصلحة الإسلام والمسلمين،
حيث انصرف الإمام عليه السلام فيها إلى رعاية أمور
المسلمين مواصلاً طريق آبائه وأجداده في إعداد
أتباعه إعداداً روحياً ورسالياً.

فهو عليه السلام الذي نشأ وترعرع في البيوت التي
أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فامتازت
شخصيته بالعديد من المميزات في مقدمتها
علمه الغزير، وقد أختبر علمه عليه السلام وهو ابن
الصبا عندما قال عنه بني العباس لما أراد
المأمون العباسي تزويجه من ابنته (أم الفضل):
(إنه صبي لا يفقه من الدين شيئاً) فتواعدوا
على أن يختبروا علم الإمام عليه السلام من قبل المشايخ
المعروفين في ذلك الزمان فأرسلوا إلى الإمام
عليه السلام وقد حضر المجلس جمع ممن وضعوا
انفسهم أوصياء على الدين.

وقد استأذن (قاضي القضاة) (يحيى بن الأكرم)
من المأمون في أن يسأل الإمام عليه السلام عن مسألة،
فأقبل على الإمام عليه السلام وقال: ما تقول في محرم
قتل صيداً؟

فقسم الإمام عليه السلام سؤاله هذا إلى اثنين وعشرين
شعبة وسأل ابن الأكرم: في أي من هذه الفروع
قتل المحرم صيده هذا؟

فتحير (قاضي القضاة) وبان في وجهه العجز
وتلجلج حتى عرف أهل المجلس عجزه.
فقال المأمون: أعرفتم الآن ما كنتم
تتكرونه؟

ولم تستمر حياة الإمام عليه السلام من بعد
موت المأمون إلا مدة قدرت بأقل من
سنتين، حيث دأب المعتصم العباسي
وجعفر بن المأمون يدبران المكائد
ويعملان لأجل قتل الإمام الجواد عليه السلام
فأوعز جعفر لأخته أم الفضل زوجة
الإمام لأنه وقف على غيرتها من أم
الهادي، ولأنها لم ترزق منه ولداً
فأجابت أخاها جعفر ودرسوا سماً
في شيء من عنب رازقي،

وكان يعجبه فلما
أكل منه ندمت
و جعلت

ذكر بعض المؤرخين أن احتفاء المأمون
العباسي بالإمام الرضا عليه السلام ومن بعده الإمام
الجواد عليه السلام بأنه من محبي آل البيت عليهم السلام أو
من مواليهم، غير أن الحقيقة بعيدة عن ذلك
كل البعد. فلا بد أن نعرف بان قضاء المأمون
على حكم أخيه الأمين لا يعني انه قد تسلم
مقاليد الحكم بسهولة من بعده، حيث كان
أمامه الكثير من العقبات والتي كان أحدها
أصحاب الرأي والقادة والحاشية في القصر هم
من بني العباس، وقد اشترطوا على المأمون فيما
إذا أراد أن يحضر إلى بغداد وتتم البيعة له، أن
يتخلص من الإمام الرضا عليه السلام، فأصبح المأمون
بين فكي كماشة، بين قتل الإمام الرضا عليه السلام
وتعرضه إلى نعمة موالى آل البيت عليهم السلام، وبين
حرمانه من كرسي الحكم، فدبر مكيدته
الشيطانية التي جعلت من مقتل الإمام عليه السلام أشبه
بالعارض الصحي الذي ألم بالإمام عليه السلام وهو في
سفر، فيظهر للعيان بأنه موت طبيعي، حيث
طلب المأمون من الإمام الرضا عليه السلام أن يخرج
معه في رحلة، وفي استراحتهم في احد البساتين
أمر المأمون خادمه أن يقطع من رمان البستان
ويقدمه عصيراً لهم، فامتثل الخادم لهذا الأمر،
وقد أوصى المأمون خادمه مسبقاً وقبل الرحلة
أن يطيل أظفاره ثم يملأ أظفاره هذه بسم قاتل،
فوضع عصير الرمان في كاس وقدم للإمام
وشرب منه فاعتلت صحته وضعف.

عن علي بن إبراهيم عن ياسر الخادم قال: (لما
كان بيننا وبين طوس سبعة منازل اعتل
الرضا عليه السلام فدخلنا طوس وقد اشتدت به العلة،
فلما كان في آخر يومه الذي قبض فيه كان
ضعيفاً حتى أغمي عليه، فجاء المأمون حافياً
حاسراً يضرب على رأسه، ويقبض على
لحيته، ويتأسف ويبكي، فوقف على الرضا
في لحظاته الأخيرة، وقال: يا سيد والله ما ادري
أي المصيبتين أعظم علي، فقدي لك، أو تهمة
الناس لي، بأني اغتلتك وقتلتك؟ قال: فرجع
الإمام الرضا عليه السلام طرفه إليه ثم قال: (احسن
معاملة ولدي أبي جعفر (الإمام الجواد)، فان
عمره وعمره هكذا وجمع سبابتيه)⁽¹⁾.

فلاحظ هنا أن الأمر أصبح مشتركاً لدى
المأمون فبعد أن تخلص من الإمام الرضا عليه السلام
أصبح لزاماً عليه المحافظة على حياة الإمام
الجواد عليه السلام، حيث أخبره الإمام الرضا عليه السلام حين
جمع سبابتيه وجعل عمر المأمون من بقاء الإمام
الجواد عليه السلام على قيد الحياة (وهذه كرامة
من الله تعالى ميز بها أهل البيت عليهم السلام)، فعمل
المأمون على تعظيم الإمام الجواد عليه السلام حتى زوجه
من ابنته (أم الفضل)، ليحصل على مكسبين
من ذلك الأول هو إبعاد الشبهة عنه بقتل الإمام
الرضا عليه السلام وثانيها إعلان المودة للإمام الجواد عليه السلام

(١). عيون أخبار الرضا ٢/٢٤١.

